

خطبة الجمعة - الخطبة ٤٨٢ : خ١- الحج من البداية إلى النهاية ، خ٢ - تعريف الاستطاعة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٤-٠٥-١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى :

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ، ولا اعتصامي ، ولا توكلني إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً لربوبيته ، وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر ما اتصلت عين بنظر ، وما سمعت أذن بخبر .
اللهم صل وسل وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذریته ومن وآله ومن تبعه
إلى يوم الدين .

تمهيد .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ في حياة الإنسان الشارد عن ربّه قيم مادية طاغية ؛ هي بشكل أو بأخر موازين غير صحيحة يوزن بها الإنسان في المجتمع المادي ، كالمال ، والقوّة ، والوسامة ، والذكاء ، وهي قيم مُضللة تحجب الإنسان عن حقيقته الإنسانية ، وعن رسالته الربانية لا تخدع بالمقاييس الزائفـة فهي لا تساوي عند الله شيء ، تحجبه عن سر وجوده ، وغاية وجوده ، وعن مصيره الأبدي ، وحينما يرحل



الإنسان من حياته الدنيا الفانية إلى حياته الأخرى الباقيـة يُصـفع ، حينما تنهار أمامه القيم المادية ، وتعطل الموازين غير الصحيحة ، وتـسقط الأقنـعة المزيفـة ، وتـنزاح الحـجب المضـلـلة ، كلـ هذا بعد فوات الأولـان ، يـُصـفع الإنسان حينـما يـقـيم عملـه في الدـنيـا وفق مقـايـيس جـديـدة ، وفـقـ مدـى مـعرفـته برـبـه ، ومـعرفـته لـمنهج ربـه ، واستـقـامتـه على منـهج ربـه ، وبـحـجم أـعـمالـه الصـالـحةـ التي نـفعـ بها الخـلـقـ .



يا أيها الأخوة الكرام ؛ لأن لا يُصْنَع
الإنسان في رحلته الأخيرة فرض الله
الحج على المستطيع الموسير ليكون
الحج رحلة إلى الله قبل الأخيرة ، فلعله
يستعد من خلال دروسها البليغة لرحلة
أخيرة .

المُسْتَطِيعُ لِيَهَا الْأَخْوَةُ ؛ هُوَ مَنْ يَجِدُ
مَالًا، وَصَحَّةً ، وَرَاحَةً يَعِينُهُ عَلَى أَدَاءِ
هَذَا الْمَسْكِ الْعَظِيمِ .

أيها الأخوة الكرام ؛ الحج بتعبير دقيق ؛ رحلة إلى الله تعالى ، فقد شاءت إرادة الله لحكمة مطلقة
مراقبة للتزعة المادية في كيان الإنسان ، شاءت إرادة الله أن يضع للناس في الأرض بيئاً له ،
يمكن المؤمنون به لكي يعبروا من خلال إثبات هذا البيت من كل فج عميق ، من أن يعبروا عن حب
الله ، وشوقهم إليه ، فالمؤمن يؤكد من خلال قصده البيت الحرام ملبياً دعوة ربّه أنَّ الله أحبُّ إليه
من أهله وولده وماله وبلده والناس أجمعين ، فيتحمل الحاج نفقات الحج التي ربما كانت
باهظة ، ويتحمل ترك الأهل والولد الذي ربما كان صعباً ، ويتحمل ترك العمل والكسب الذي ربما
كان أثيراً ، كل ذلك حباً الله ، وطمئناً للقرب منه ، وشاءت حكمة الله أيضاً أن يكون بيته الحرام في
المنطقة الحارة من الأرض ، وفي وادٍ غير ذي زرع ليكون واضحاً لدى الحاج أنَّ الاتصال
ال حقيقي بالله يحقق للمرء سعادةً يستغني بها عن كل الشروط المادية التي يتوهّم أنَّها سبب سعادته ،
 وأنَّ سعادة الإنسان تتبع من داخله لا ممَّا يحيط به نفسه من أنواع النعيم .

أيها الأخوة الكرام ؛ كما قلت لكم سابقاً
لو كان البيت الحرام في المنطقة
المعتدلة من الأرض حيث الجبال
الحضراء ، والمياه العذبة ، والبحيرات
الصافية ، والبساتين الغناء ، والجوّ
اللطيف ، والنسميم العليل ، وكان الحج
على مدار العام دفعاً لازدحام ، لأقبل
كلَّ الخلق على أداء هذه الفريضة



المُمْتَنَعَة طَلِيًّا لِلأسْتِجْمَام لَا حُبًا بِخَالقِ الْأَكْوَان .

أُخْوَةُ الإِيمَان ؛ قَالَ تَعَالَى :

(رَبَّنَا إِنَّى أَسْكَنْتُ مِنْ دُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمَ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئَدَهُ
مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ التَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)

[سورة إبراهيم الآية: ٣٧]

شَيْءٌ أَخْرَى فِي الْحَجَّ ، فَضْلًا عَنْ مَوْقِعِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَام ، وَعَنْ طَبِيعَةِ الْأَجْوَاءِ فِيهِ ، فَإِنَّ الْحَاجَ
الْمُحَرَّمَ يُحْضَرُ عَلَيْهِ لِبْسَ الْمَخْيَطِ ، وَالْمُخْيَطُ مِنَ الثِّيَابِ ، وَيُحْضَرُ عَلَيْهِ التَّطْبِيبُ بِكُلِّ أَنْوَاعِ الطَّيْبِ ،
وَيُحْضَرُ عَلَيْهِ الْحَلْقُ وَالتَّقْصِيرُ وَيُحْضَرُ عَلَيْهِ مَقَارِبَةَ الْمُنْعَنِ الْمَتَاحَةِ فِي خَارِجِ الْحَجَّ ، كُلُّ ذَلِكَ لِيُحْكَمَ
أَنْصَالَهُ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَلَيُسْعَدَ بِقُرْبِهِ وَحْدَهُ بَعِيدًا عَنْ كُلِّ مُدَاخِلَةٍ مِنْ مُتَّعِنِ الْأَرْضِ لِيُتَحَقَّقَ لِلْحَاجَ أَنَّهُ إِذَا
وَصَلَ إِلَى اللَّهِ وَصَلَ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَأَنَّ الدُّنْيَا كُلُّهَا لَا يَمْكُنُ أَنْ تُسْعَدَ إِلَيْهِ ، وَلَيُنْطَلِقَ لِسَانُهُ
بِشَكَلٍ عَفْوِيٍّ فَائِلًا : مَاذَا فَقَدَ مِنْ وَجَدَكَ ؟ وَمَاذَا وَجَدَ مِنْ فَقَدَكَ ؟ .



أَبِيهَا الْأُخْوَةُ ؛ مُجْمَلُ الْقَوْلِ أَنَّ الْحَجَّ
عِبَادَةُ قَوَامُهَا اِتْصَالٌ مُتَمَيِّزٌ بِاللَّهِ عَزَّ
وَجَلَ ثَمَنَهُ التَّقْرِغُ التَّامُ ، إِذْ لَا يُؤْدَى
الْحَجَّ إِلَّا فِي بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، إِذْ لَا يَدَدُ
مِنْ مَغَارِدِ الْأَوْطَانِ ، وَتَرْكُ الْأَهْلِ
وَالْخُلَانِ ، وَتَحْمُلُ مَشَاقِ السَّفَرِ ،
وَالْتَّعَرُضُ لِأَخْطَارِهِ ، وَإِنْفَاقُ الْمَالِ
ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ، وَإِذَا صَحَّ أَنَّ ثَمَنَ
هَذِهِ الْعِبَادَةِ بِاَهْظَافِ التَّكَالِيفِ فَإِنَّهُ يَصِحُّ
أَيْضًا أَنَّ ثَمَارَهَا بَاهِرَةُ النَّتَائِجِ .

قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُتَوَهِّمًا بِثِمارِ هَذِهِ الْعِبَادَةِ الْبَدْنِيَّةِ الشَّعَائِرِيَّةِ الْمَكَانِيَّةِ الْزَّمَانِيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ فِيمَا

رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ :

عَنْ أَبَى حَازِمٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
(مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفَثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيْوَمْ وَلَدَنَهُ أَمْهُ)

[أخرجه البخاري ومسلم]

وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مِنْ كَانَ قَبْلَهُ ، وَأَنَّ الْحَجَّ الْمُبَرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ ، وَالْحَجَّ وَالْعُمَرَ وَفُدُّ
اللَّهِ إِنْ دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ ، وَإِنْ اسْتَغْفِرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ ، وَالْحَجَّ وَالْعُمَرَ يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ وَأَنَّ النَّفَقَةَ فِي
الْحَجَّ كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، هَذِهِ كُلُّهَا أَحَادِيثٌ صَحِيحَةٌ وَرَدَتْ فِي فَضْلِ الْحَجَّ .

أيها الأخوة الكرام ؛ لكن لابد من بعض الملاحظات ، فلكي تؤدّ هذه العبادة العظيمة على نحو يقبلها الله عز وجل ، ويرضى عنها ، ولكي لا ينفق الإنسان المال الكثير والوقت الثمين ويتجشم المشاق ثم لا تُقبل حجته ، ويُقال له : لا ليك ، ولا سعدتك ، وحجك مردود عليك ، ولأن لا تضيع جثه سدى ، على الحاج أن يتوب قبل ذهابه إلى الحج ،



من كلّ الذنوب والآثام ، كبيرها وصغيرها ، جليلها وحقيرها ، فيجتنب كلّ كسبٍ حرام ، وكلّ علاقة متأبكة بالآثام ، عليه أن يؤدي حقوق العباد ، لأنّ حقوق العباد مبنية على المشاححة ، وحقوق الله جل جلاله مبنية على المسامحة ، عليه أن يؤدي الحقوق ، وأن يقلّ عن الذنوب ، والأهم من هذا كله أن يعْقد العزم على أن لا يعود إليها بعد الحجّ ، وإلا أصبح الحجّ طقساً من الطقوس التي لا معنى لها ، فمن الخطأ الكبير أيها الأخوة ، ومن الوهم الكبير أن يظنّ الحاج أن الحجّ يهدّم ما قبله من الذنوب ، وفيه تغفر كلّ خطيئة ، وقد أجمع العلماء أن الأحاديث الشريفة التي تبيّن أنّ الحاج يعود من الحجّ كيوم ولدته أمّه ، وقد غفرت ذنبه كلّها ، هذه الذنوب التي أشار إليها النبي عليه الصلاة والسلام هي الذنوب التي بين عبده ربّه حصراً ، أما الذنوب التي بينه وبين الخلق ، وأما الحقوق التي في ذمته ، وأما الواجبات التي قصر في أدائها ؛ هذه لا تسقط ، ولا تغفر إلا بالأداء ، أو المسامحة ، فالذنوب كما قال العلماء ، أو كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ؛ ذنب لا يغفر وهو الشرك بالله ، وذنب لا يُثرّك وهو ما كان بين العبد والخلق ، وذنب يغفر وهو ما كان بين العبد وربّه .

أيها الأخوة الكرام ؛ يذهب المسلم إلى بيت الله الحرام ، ويختلف في بلدته هموم المعاش ، هموم الرزق ، هموم العمل ، هموم الكسب ، هموم الزوجة ، هموم الولد ، هموم الحاضر ، هموم المستقبل ، وبعد أن يحرّم من الميقات يبتعد عن الدنيا كلّياً ، ويتجرّد إلى الله عز وجل ، ويقول : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إنّ الحمد واللّعنة ولك والملك ، لا شريك لك ، ما معنى هذه التلبية ؟ هذه التلبية أيها الأخوة كأنّها استجابة من العبد لنداء ودعوة يقعان في قلبه ، أنْ يا عبدي خلي نفسك وتعال ، تعال يا عبدي لأريحك من هموم كالجبال ، تجثم على صدرك ، تعال يا عبدي لأطهرك من شهواتِ تُنَعَّصُ حياتك .

فإلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كلّ ما قدّمت مسؤول

تعال يا عبدي ودق طعم محبتي ، تعال يا عبدي ودق حلاوة مناجاتي ، لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إنَّ الحمد والنِّعمة ولك والملك ، لا شريك لك ، تعال يا عبدي لأريك من آياتي الباهرات ، تعال يا عبدي لأريك ملكوت الأرض والسموات ، تعال يا عبدي لأضيء جوارحك بئوري الذي أشرقت به الظلمات ، تعال يا عبدي لأعمَر قلبك بسكنينة عزَّت على أهل الأرض والسموات ، تعال يا عبدي لأملك نفسك غُلَّى ورضيَّ شقيقت بفقدِهما نفوسُ كثيرات ، تعال يا عبدي لأخرج من وحول الشَّهوات إلى جنَّاتِ القيبات ، تعال يا عبدي لأنقذك من وحشة البُعد إلى أنسِ القرب ، تعال يا عبدي لأخلصك من رُعب الشرك وذلِّ الفُقَار إلى طمأنينة التَّوْحِيد ، وعزَّ الطاعة ، يقول العبد : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إنَّ الحمد والنِّعمة ولك والملك ، لا شريك لك ، تعال يا عبدي لأنفك من دُنياك المحدودة ، وعملك الرتيب ، وهمومك الطاحنة إلى آفاقِ معرفتي ، وشرف ذكري ، وجنة قربي ، تعال يا عبدي وحُط همومك ومتاعبك ومخاوفك عندِي فأنا أضمن لك زوالها ، تعال يا عبدي وادْكُر حاجاتك وأنت تدعوني وأنا أضمن لك قضاءها ، إنَّ بيته في الأرض المساجد ، وإن زوارها هم عمارها ، فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني ، وحقَّ على المزور أن يُكرِّم الزائر ، كيف يكون إكرامي لك إذا قطعت المسافات ؟ وتجشَّمت المشقات ، وتحمَّلت النفقات ، زرتني في بيتي الحرام ، ووقفت بعرفة تدعوني ، وتسترضيني ، لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إنَّ الحمد والنِّعمة ولك والملك ، لا شريك لك ، تعال يا عبدي وزرْني في بيتي ، لتنزَّاح عنك الأوهام ، ولِتُعَلِّم الحقائق ، ولتُسْتَعِد لقاء فإنَّ عبَّاداً أصْحَّتْ له جسمه ووسَعَتْ عليه في المعيشة ، ومضتْ عليه خمسة أعوام لم يفُدْ إلى لِمَحْرُوم ، تعالى يا عبدي وطُفْ حول الكعبة طوافَ المحبِّ حول محبوبه ، واسْعَ بين الصفا والمروة سعيَ المُشتَاق لِمَفْقوده ، تعال يا عبدي وقبلَ الحجر الأسود ، يميني في الأرض ، وازْرَف الدَّمْع على ما فات من عمرٍ ضيَّعْتُه في غير ما خُلِّفت له ، وعاهدني على تركِ المعاصي ، والمخالفات ، والإقبال على الطاعات والقربات ، وكن لي كما أريد لأنك كما تريـد ، كن لي كما أريد ولا تُعلمـني بما يُصلـحـك ، فإذا سلـمت لي فيما أريد كـيفـكـ ما تـريـد ، وإن لم تـسلـم لي فيما أـريد أـتعـبـكـ فيما تـريـد ثم لا يكون إلا ما أـريـد ، خـلـقـتـ لكـ ماـ فيـ الكـونـ منـ أـجـلـكـ فلاـ تـثـبـعـ ، وـخـلـقـتكـ منـ أـجـلـيـ فلاـ تـلـعـبـ ، فـبـحـقـيـ عـلـيـكـ لا تـتـشـاغـلـ بماـ ضـمـنـتـ لكـ عـماـ اـفـتـرـضـتـهـ عـلـيـكـ ، لـبـيـكـ اللـهـمـ لـبـيـكـ ، لـبـيـكـ لاـ شـرـيكـ لكـ لـبـيـكـ ، إنـَّـ الحـمـدـ وـالـنـعـمـةـ وـالـمـلـكـ ، لاـ شـرـيكـ لكـ لـبـيـكـ ، تعالـ لـتـتـعـرـضـ لـتـفـحـةـ مـنـ نـفـحـاتـيـ تـطـهـرـ قـلـبـكـ مـنـ كـلـ دـرـنـ وـشـهـوـةـ ، وـتـصـفـيـ نـفـسـكـ مـنـ كـلـ شـائـبـةـ وـهـمـ ، هـذـهـ النـفـحـاتـ تـمـلـأـ قـلـبـكـ سـعـادـةـ وـطـمـانـيـةـ ، وـتـشـيـعـ فـيـ نـفـسـكـ سـعـادـةـ لـوـ وـرـعـتـ عـلـىـ أـهـلـ بـلـدـ لـكـفـهـمـ ، عـدـيـدـ يـاـ عـبـديـ لـاـ تـنـدـمـ إـلـاـ عـلـىـ سـاعـةـ أـمـضـيـتـهـ فـيـ الـقـيلـ وـالـقـالـ ، وـكـثـرـةـ السـؤـالـ وـإـضـاعـةـ الـمـالـ ، تعالـ إـلـىـ عـرـفـاتـ ، يـوـمـ عـرـفـةـ لـتـعـرـفـ أـنـكـ الـمـلـخـوقـ الـأـوـلـ مـنـ بـيـنـ كـلـ الـمـلـخـوقـاتـ ، وـلـكـ

سُّرْرُ الأرض والسماءات ، وأنك حمّلت الأمانة التي أشغقت منها الجبال والأرض والسماءات ، وأني جئتُ بك على الدنيا لِتَعْرِفُني ، ولتعمل عملاً صالحة يؤهلك لِجَنَّةِ الخلد ، تعال إلى عرفات يوم عرفة لِتَعْرِفُ أنَّ الإِنْسَانَ لِفِي خَسَرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ ، وأنك إن وجدتني وجدت كلَّ شيءٍ ، وإن فتَّاكَ فائِتَكَ كُلَّ شيءٍ ، وبعد أن يذوق المؤمن في عرفات من خلال دعائه وإقباله واتصاله رُؤْءَةَ اللقاء وحلاوة المناجاة ينغمِّسُ في لذةِ القرب ، عندئِذٍ تصغر الدنيا في عيْنِيهِ ، وتنقل من قلبِه إلى يديه ، وتتصبَّحُ أكبر همَّ الآخرة ، فيسْعُى إلى مَقْدُودٍ صِدْرٌ عند ملِيكِ مُقدَّرٍ ، وقد يُكَشِّفُ لِلْحَاجِ في عرفات أنَّ كُلَّ شيءٍ ساقِهُ اللَّهُ لَهُ ، مما يكرهه هو مَحْضُ عَدْلٍ ، وَمَحْضُ فَضْلٍ ، وَمَحْضُ رَحْمَةٍ ، عندئِذٍ يَتَحَقَّقُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى :

(أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)

[سورة البقرة الآية: ٢١٦]

مناسك الحج .

أيها الأخوة الكرام ؛ بعد أن يفيض الحاج من عرفات ، وقد حصلت له المعرفة واستثار قلبه ، وصحت رؤيَّته ، يرى أنَّ السعادة كلُّها في طاعة الله ، وأنَّ الشقاء كُلُّه في معصيته ، عندئِذٍ يرى عداوة الشيطان ، وكيف يأمره بالسوء والفحشاء ، ويوقعُ بينه وبين إخوانه العداوة والبغضاء ، وأنَّه يُعذَّبُ أولياءه بالفقر إذا أُنْقُوا ، ويُخْوِّفُهم مما سُوِّيَ الله إذا أَنْابُوا وتابُوا ، ويَعْدُهم ويمْيِّهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ، قال تعالى :

(وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَقْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلَوْمُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخَكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخٍ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ مِنْ قَبْلِ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

[سورة إبراهيم الآية: ٢٢]



عندئِذٍ أيها الأخوة يُعبَّرُ الحاج عن عداوة الشيطان تعبيراً رمزيًّا برميِّ الجمار ليكون الرمي تعبيراً مادياً ، وعهداً موئقاً عن عداوة الشيطان ، ورفضاً لوسائله وخطراته ، يقول الإمام الغزالى رحمه الله تعالى : اعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى في العقبة ، وفي الحقيقة ترمي بها وجه الشيطان وتقصمه ظهره ، ولا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله

تعالى .

أيها الأخوة الكرام ؛ وحينما يتجه الحاج لسوق الهدي ، ونحر الأضاحي وكأن الهدي هدية إلى الله تعالى تعبيراً عن شكره لله تعالى على نعمة الهدي التي هي أثمن نعمة على الإطلاق ، وكأن ذبح الأضحية ذبح لكل شهوة ورغبة لا ترضي الله تعالى ، وتضحية بكل غال ورخيص ، ونفس ونفيس في سبيل مرضات الله رب العالمين ، قال تعالى :

(لَنْ يَتَّالَ اللَّهُ لِحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَتَّالَ اللَّهُوَى مِنْكُمْ كُلُّكُمْ سَخَرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهُ عَلَى مَا هَدَكُمْ وَبَشِّرُ الْمُحْسِنِينَ)

[سورة الحج الآية: ٣٧]

ثم يكون طواف الإفاضة تثبيتاً لهذه الحقائق ، وتلك المشاعر ، ثم يطوف طواف الوداع ليُنطلق منه إلى بلده إنسانا آخر استثار عقله بحقائق الإيمان وأشرقت نفسه بأنوار الفُرْب ، وعقد العزم على تحقيق ما عاهد الله عليه وإذا صَحَّ أنَّ الحج رحلة إلى الله ، فإنه يصبح أيضاً أنه رحلة قبل الأخيرة ، ليكون الرحلة الأخيرة مُضيئَة إلى جنة



كان ذبح الأضحية ذبح لكل شهوة ورغبة لا ترضي الله تعالى

عرضها السماوات والأرض .

أيها الأخوة الكرام ؛ لنا في الأسبوع القادم متابعة لهذا الموضوع نتحدث عن معنى التكبير في عيد الأضحى ، عند الحجاج وعند المقيمين في بلادهم ، ونتحدث عن معنى الأضحية إن شاء الله تعالى ، وأقول قولي هذا وأستغفِرُ الله العظيم لي ولكم فاستغفروه يغفر لكم فيما فوز المستغرين .

والحمد لله رب العالمين

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولِي الصالحيْن ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم .

تعريف الاستطاعة .

أيها الأخوة الكرام ؛ بضع نقاط متعلقة بالحج لا بد من توضيحها ، الاستطاعة التي وردت في الآية الكريمة ، والتي تعد أصلاً في فرضيَّة الحج هي قوله تعالى

(وَلَهُ عَلَى النَّاسِ حُجَّ الْبَيْتِ مَنْ أَسْتَطَعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِ الْعَالَمِينَ)

[سورة آل عمران الآية: ٩٧]

الاستطاعة أيها الأخوة : هي استطاعة بدنية ، ومالية ، وأمنية .

فالمسلم الذي لا يقوى جسمه على تحمل مناسك الحج بغلبة يقنه ، أو بإخبار طبيب متخصص مسلم حاذق ورع ، هذا الإنسان ليس مستطيناً أن يحج ، وتسقط عنه هذه الفريضة ، ولكنه يجزئه أن يكلف من يحج عنه في حياته ، أو يوصي بحجته بدل بعد مماته وفق أحكام هذا النوع من الحج . وال المسلم الذي لا يملك المال الكافي ، الذي يعطي نفقات الركوب بأنواعها ، ونفقات السكن في مكة والمدينة ، وثمن الطعام والشراب ، فضلاً عن نفقات أهله وولده في بيته ليس مستطيناً . إدأ : لا ينبغي للمسلم غير المستطاع أن يبذل ماء وجهه من أجل أن يجمع نفقة الحج ، ولا أن يستلك المسالك الملوثة من أجل أن يحصل نفقة الحج ، إنه في الأصل ليس مستطيناً ولا حج عليه .

أما الاستطاعة الثالثة

((الأمنية))

حينما يقرر أولوا الأمر في ديار المسلمين أن يعتمدوا نظاماً يتيح لمن لم يحج أن يحج ، ويمنعوا من حج حجة الفريضة من أن يحج حجة التلقل قبل أقل من خمسة سنوات أو أكثر ، بينما يكون الباعث على هذا التنظيم إفساح المجال للمسلمين الذين لم يحجوا حجة الفريضة أن يؤذوها بيسراً وطمأنينة ، فلا ينبغي للمرء أن يرتكب معصية ، وأنكرها وأنتم تعلمون ما هذه المعصية ؟ لا ينبغي للمرء المسلم أن يرتكب معصية ليحج حجة نافلة ، فالMuslim الذي لم يسمح له بالحج لا يعد مستطيناً ، وقد يبلغ المرء المؤمن بيته ما لا يبلغه بعمله .

أيها الإخوة الكرام ؛ هذه نقطة ، والنقطة الثانية ؛ ما دام الحج من العبادات المالية التي تستوجب إنفاق المال ، وفي الحديث الصحيح :

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبِلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيَّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلَيْمٌ وَقَالَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيَّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ثُمَّ ذَكِّرِ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّقَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمْدُدُ يَدِيهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبَّ يَا رَبَّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرِبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبُسُهُ حَرَامٌ وَخُذِيَ بالحرام فَلَئِنْ يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ))

[أخرجه مسلم والترمذني]

فلا بد للمال الذي سيفقه الحاج في هذه الفريضة من أن يكون مالاً طيباً حلالاً ، فقد أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((إِذَا خَرَجَ الْحَاجُ حَاجًا بِنَفْقَةِ طَيِّبَةٍ ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي الغَرْزِ فَنَادَى: لَبِيكَ اللَّهُمَّ لَبِيكَ ، نَادَاهُ مَنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ لَبِيكَ وَسَعَدِيكَ زَادَكَ حَلَالًا وَرَاحْلَتَكَ حَلَالًا وَحَجْكَ مَبْرُورٌ غَيْرُ مَازُورٍ ، إِذَا خَرَجَ

**بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز ، فنادى : لبِكَ اللَّهُمَّ لبِكَ ، ناداه مناد من السماء لا لبِكَ
ولا سعدِيكَ زادك حرام ونفقتك حرام وحجك مأزور غير مبرور))**

[أخرجه الطبراني]

أيها الإخوة الكرام ؛ كلامٌ دقيقٌ واضحٌ كالشمس ، بما أنَّ الحجَّ فريضةٌ فرضها الله تعالى على المستطاع ، والفقير ليس مستطيعاً ، فلا ينبغي للفقير أن يفترض ليحجَّ .
عن عبد الله بن أبي أوفى صاحب النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال:

((سَأَلْتُ عَنِ الرَّجُلِ لَمْ يَحْجُّ أَيْسَرْتُرْضُ لِلْحَجَّ ؟ قَالَ : لَا))

[رواہ البیهقی]

أي لا يلزم الاقتراب لأداء الحج ، وإنما يجب عليه إذا كانت النفقـة في يده ولا يلزمـه الشـارع الاستدـانـة للـحجـ وكـثـيرـ من جـهـالـنا يـقـرـضـونـ بالـربـاـ ويـحـجـونـ وـهـذـاـ خـطـأـ مـبـينـ لاـ يـقـرـهـ عـقـلـ وـلـاـ دـيـنـ لأنـ الفـروـضـ شـرـعـتـ زـوـاجـ عنـ اـرـتكـابـ المـحرـماتـ فـكـيفـ تـكـوـنـ سـبـباـ فـيـ اـرـتكـابـهاـ .
وـالـمـدـيـنـ لـاـ تـقـبـلـ حـجـهـ إـلـاـ بـمـوـافـقـةـ دـائـنـهـ .

أيها الأخوة الكرام ؛ نقطة ثالثة ؛ أجدُ أنني أشرحـها لـضرـورةـ مـاسـةـ ، وـهـذـهـ النـقـطـةـ التـالـثـةـ أـهـمـ الـنقـاطـ ،
من فـقـهـ الرـجـلـ أـنـ يـتـحـركـ فـيـ حـيـاتـهـ وـفـقـ سـلـمـ الـأـولـويـاتـ ، فـإـذـاـ أـدـىـ حـجـةـ الإـسـلـامـ ، وـهـيـ حـجـةـ
الـفـرـيـضـةـ ، وـتـأـفـتـ نـفـسـهـ إـلـىـ أـنـ يـحـجـ مـرـأـةـ ثـانـيـةـ ، وـثـالـثـةـ ، وـكـانـ مـسـطـيـعـاـ بـمـالـهـ ، وـبـدـنـهـ ، وـمـوـافـقـةـ
أـوـلـيـ الـأـمـرـ لـهـ ، وـلـمـ يـسـنـهـ مـنـ خـلـالـ تـصـرـيـحـ غـيرـ مـطـابـقـ لـلـوـاقـعـ فـيـ حـرـمـانـ مـسـلـمـ مـنـ حـجـةـ
الـفـرـيـضـةـ ، وـكـانـ قـدـ أـدـىـ كـلـ مـاـ عـلـيـهـ مـنـ وـاجـبـاتـ تـجـاهـ وـالـدـيـهـ وـأـوـلـادـهـ وـأـخـوـتـهـ وـأـخـوـاتـهـ وـأـصـدـقـائـهـ
وـجـبـرـانـهـ ، فـلـاـ عـلـيـهـ أـنـ يـحـجـ ثـالـثـةـ وـرـابـعـةـ ، فـالـحـجـ جـهـادـ لـاـ شـوـكـةـ فـيـهـ ، وـهـوـ جـهـادـ الـكـبـيرـ وـالـمـرـأـةـ
وـالـضـعـيفـ ، وـقـدـ أـخـرـجـ عـبـدـ الرـزـاقـ فـيـ

المصنـفـ وـابـنـ أـبـيـ شـيـبـةـ فـيـ مـسـنـدـهـ وـأـبـوـ
يـعـىـ وـالـبـيـهـقـيـ ، عـنـ أـبـيـ سـعـيدـ الـخـدـرـيـ
قـالـ : قـالـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ
وـسـلـمـ : يـقـولـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ :

**((إـنـ عـبـدـ صـحـتـ لـهـ جـسـمـهـ ،
وـأـوـسـعـتـ لـهـ فـيـ رـزـقـهـ ، يـأـتـيـ عـلـيـهـ
خـمـسـيـنـ سـنـيـنـ لـاـ يـفـدـ إـلـىـ لـمـحـرـومـ))**

[أخرجه عبد الرزاق]

فـإـذـاـ كـنـتـ صـحـيـحـ الـبـدـنـ ، مـوـفـورـ الـمـالـ ،



سـمـحـ لـكـ أـنـ تـحـجـ ، وـلـكـ ، وـأـقـولـ وـلـكـ إـذـ حـيـنـمـاـ يـحـجـ الـمـسـلـمـ حـجـةـ الـفـرـيـضـةـ ، وـلـهـ وـلـدـ فـيـ سـنـ
الـزـوـاجـ وـيـخـشـىـ عـلـيـهـ الـانـحـرـافـ ، فـالـأـوـلـىـ أـنـ يـزـوـجـهـ بـدـلـ أـنـ يـحـجـ حـجـةـ الـقـلـ، فـأـدـاءـ الـوـاجـبـاتـ مـقـدـمـ
عـلـىـ فـعـلـ الـنـوـافـلـ ، حـيـنـمـاـ يـحـجـ الـمـسـلـمـ حـجـةـ الـفـرـيـضـةـ ، وـلـهـ وـلـدـ فـيـ سـنـ الـزـوـاجـ ، وـيـخـشـىـ عـلـيـهـ

الانحراف فعليه أن يزوجه بدلًّا أن يحج حجَّة اللَّقْل لأنَّ درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، ولأنَّ الله لا يقبل نافلة أَدَتْ إلى ترك واجبٍ ، وهذه قاعدة ، الله جل جلاله لا يقبل نافلة أَدَتْ على ترك واجبٍ ، قال تعالى :

(وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا)

[سورة البقرة الآية: ٢٦٩]

ومن أدعيَة النبي عليه الصلاة والسلام : اللهم حجَّة لا سمعة فيها ولا رباء ، هذا الدعاء فيه إشارة بالغة إلى أنَّ هناك من يحج للسمعة والرِّباء .

موعظة .

أيها الأخوة الكرام ؛ قال ابن كثير رحمه الله في تاريخه خرج عبد الله بن المبارك إلى الحجّ ، فاجتاز بعض البلاد ، فمات طائرٌ معهم ، فأمرَ بإيقائه في قمامنة البلدة ، وسار أصحابه أمامه ، وتخلَّف هو وراءُهم ، فلما مرَّ بالقمامنة إذ بيئت صغيرة قد خرجت من دارٍ قريبة ، وأخذت ذلك الطائر الميت ، ثمَّ أسرعت به إلى الدار ، ف جاء ابن المبارك وسألها عن أمرها وأخذ الطائر الميت ، فاستحيت أولاً ثمَّ قالت : أنا وأمي هنا ، وليس لنا شيءٌ إلا هذا الإزار ، وليس لنا قوتٌ إلا ما يُلقى على هذه القمامنة ، وكان لنا والدُ ذو مالٍ عظيم فأخذ ماله ، وقتلَ لسبب من الأسباب ، ولم يبقَ عندنا شيءٌ نتبَلغُ ، أو نقتاتُ منه ، سمعَ ذلك ابن المبارك فدمَعَت عيناه ، وأمرَ برد الأحمال والمؤونة وقال لوكيله : كم معك من التَّفَقة ؟ فقال : ألف دينار قال : أبق لنا عشرين ديناراً تكفينا لإيابنا وأعطي الباقى إلى هذه المرأة المصابة ، فو الله لقد أفعجَتني بِمُصيبيتها ، وإنَّ هذا أفضلُ عند الله من حجنا هذا العام ، ثمَّ قفلَ راجعاً ، ولم يحجّ واعتقدَ أنَّ هذه الصدقة فوق الحجّ المبرور ، والسعى المشكور ، هكذا كان السلف الصالح يعرفون حقيقة العبادات ، ويعرفون قيمة المعاملات ، ألمْ يردد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأنَّ أمسي مع أخ في قضاء حاجته خير من صيام شهر ، واعتكافه في مسجدي هذا ؟

العشر الأوائل من ذي الحجة

أيها الأخوة المؤمنون ؛ لقد دخلنا في العشر من ذي الحجَّة ، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعن ابن عباس مرفوعاً الذي رواه البخاري وأبو داود والترمذمي والدارمي وابن ماجه والطحاوي والطبراني ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام يعني أيام العشر قالوا يا رسول الله ولَا الجهاد في سبيل الله قال ولَا الجهاد في سبيل الله إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ))

نحن في هذه الأيام العشرة هي أحب الأيام إلى الله على الإطلاق ، فالصلة في هذه الأيام ، والذكر في هذه الأيام ، وصلة الليل في هذه الأيام ، والعبادة الحقة في هذه الأيام ، والإنفاق في هذه الأيام ، والإحسان إلى الخلق في هذه الأيام ، ما من أعمال صالحة هي أجدى منها في هذه الأيام .

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام يعني أيام العشر
قالوا يا رسول الله ولَا الجهاد في سبيل الله قال ولَا الجهاد في سبيل الله إِلَّا
رجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ
ذلك بِشَيْءٍ))



عليها في هذه الأيام العشر من ذي الحجة أن نجتهد
في العبادة والعمل الصالح

أي أيام العشر من ذي الحجة ، قال : قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله ، قال :
((ولَا الجهاد في سبيل الله قال ولَا الجهاد في سبيل الله إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ
ذلك بِشَيْءٍ))

[أخرجه الترمذى]

نحن في أيام ، الحجّاج الآن في مكة أو المدينة ، وهم بعد أيام سيقفون على عرفات ، نحن لسنا حجاجاً ، نحن مقيمون في بلدنا ، هذه الأيام العشر ، ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى من هذه الأيام ، العمل الصالح ، الإنفاق عمل صالح المعاونة عمل صالح ، إطعام الطعام عمل صالح ، العبادة عمل صالح .

((ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام يعني أيام العشر قالوا يا رسول الله ولَا الجهاد في سبيل الله قال ولَا الجهاد في سبيل الله إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ
ذلك بِشَيْءٍ))

[أخرجه الترمذى]

إذا علينا في هذه الأيام العشر من ذي الحجّة أن نجتهد في العبادة والعمل الصالح ، أن نجتهد في الإنفاق ، أن نجتهد في الذّكر ، وفي صلة الرحم أن نجتهد في إنفاق المال فلعل الله سبحانه وتعالى يرحمنا .

الدّعاء :

اللهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتُ ، وَعَافَنَا فِيمَنْ عَافَتْ ، وَتُوَلِّنَا فِيمَنْ تُوَلِّتُ ، وَبَارِكُ اللَّهُمَّ لَنَا فِيمَا أَعْطَيْتُ ، وَقَنَا وَاصْرَفْ عَنَّا شَرًّا مَا قَضَيْتُ فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ ، إِنَّهُ لَا يَذَلُّ مِنْ وَالْيَتَمْ ، وَلَا يَعْزَزُ مِنْ عَادَيْتُ ، تَبَارَكْتُ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتُ ، وَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا قَضَيْتُ نَسْتَغْفِرُكَ اللَّهُمَّ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ ، اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا عَمَلاً صَالِحًا يَقْرَبُنَا إِلَيْكَ ، اللَّهُمَّ أَعْطُنَا وَلَا تَحْرِمنَا ، وَأَكْرَمْنَا وَلَا تَهْنِنَا ، وَأَثْرَنَا وَلَا تُؤْثِرْنَا عَلَيْنَا ، وَأَرْضَنَا وَارْضَ عَنَّا ، وَأَصْلَحْنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عَصْمَةُ أُمُّنَا ، وَأَصْلَحْنَا دِينَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا ، وَأَصْلَحْنَا آخِرَتَنَا الَّتِي إِلَيْهَا مَرَدَنَا ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زَادًا لَنَا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ ، مَوْلَانَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ، اللَّهُمَّ اكْفُنَا بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ ، وَبِطَاعَتِكَ عَنْ مَعْصِيَتِكَ ، وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سَوَّاكَ ، اللَّهُمَّ لَا تَؤْمَنَّ مَكْرَكَ ، وَلَا تَهْتِكَ عَنَّا سَتْرَكَ ، وَلَا تَنْسَا ذَكْرَكَ ، يَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عُضُالِ الدَّاءِ وَمِنْ شَمَاتَةِ الْعَدَاءِ ، وَمِنْ السَّلْبِ بَعْدِ الْعَطَاءِ ، يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ ، نَعُوذُ بِكَ مِنْ الْخُوفِ إِلَّا مِنْكَ ، وَمِنَ الذُّلِّ إِلَّا لَكَ ، وَمِنَ الْفَقْرِ إِلَّا إِلَيْكَ ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا حَجًّا مِبْرُورًا ، وَسُعْيًا مَشْكُورًا ، وَذَنْبًا مَغْفُورًا ، اللَّهُمَّ اكْتُبِ الصَّحَّةَ وَالسَّلَامَ لِلْحَجَاجِ وَالْمَسَافِرِينَ ، وَالْمُقِيمِينَ وَالْمُرَابِطِينَ فِي بَرَكَ وَبِحَرَكَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ أَجْمَعِينَ ، اللَّهُمَّ بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ أَعُلِيَّ كَلْمَةَ الْحَقِّ وَالْدِينِ وَانْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَعْزِّ الْمُسْلِمِينَ ، وَحُذْ بَيْدَ وَلَاتَّهُمْ إِلَى مَا تَحِبُّ وَتَرْضَى إِنَّهُ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ .

والحمد لله رب العالمين